

تفسير البحر المحيط

@ 96 @ والقواس عن ابن كثير بالرفع على الفاعلية والنصب أبلغ في المعنى وأقوى ، و {
ءانِ { نافية أي ما { يَقُولُونَ } و { كَذِبًا } نعت لمصدر محذوف أي قولاً { كَذِبًا }
.

{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ } لعل للترجي في المحبوب وللإشفاق في المحذور . وقال العسكري :
فيها هنا هي موضوعة موضع النهي يعني أن المعنى لا تبخ نفسك . وقيل : وضعت موضع
الاستفهام تقديره هل أنت { بَاخِعٌ زَفْسَكٌ } ؟ وقال ابن عطية : تقرير وتوقيف بمعنى
الإنكار عليه أي لا تكن كذلك . وقال الزمخشري : شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به
وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم برجل فارقتهم أحبته وأعزته ، فهو يتساقط حسرات
على آثارهم ويبخ نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم انتهى . وتكون لعل للاستفهام قول
كوفي ، والذي يظهر أنها للإشفاق أشفق أن يبخ الرسول صلى الله عليه وسلم) نفسه لكونهم لم
يؤمنوا . .

وقوله { عِلَاءِ آثَارِهِمْ } استعارة فصيحة من حيث لهم إديار وتباعد عن الإيمان وإعراض
عن الشرع ، فكأنهم من فرط إديارهم قد بعدوا فهو في إديارهم يحزن عليهم ، ومعنى {
عِلَاءِ آثَارِهِمْ } من بعدهم أي بعد يأسك من إيمانهم أو بعد موتهم على الكفر . ويقال :
مات فلان على أثر فلان أي بعده ، وقرء { بَاخِعٌ زَفْسَكٌ } بالإضافة . وقرأ الجمهور :
{ بَاخِعٌ } بالتنوين { زَفْسَكٌ } بالنصب . قال الزمخشري : على الأصل يعني إن اسم
الفاعل إذا استوفي شروط العلم فالأصل أن يعمل ، وقد أشار إلى ذلك سيبويه في كتابه .
وقال الكسائي : العمل والإضافة سواء ، وقد ذهبنا إلى أن الإضافة أحسن من العمل بما
قررناه في ما وضعنا في علم النحو . وقرء : { إِنْ لَمْ يُوْذَوْا } بكسر الميم
وفتحها فمن كسر . فقال الزمخشري : هو يعني اسم الفاعل للإستقبال ، ومن فتح فللمضي يعني
حالة الإضافة ، أي لأن { لَمْ يُوْذَوْا } والإشارة بهذا الحديث إلى القرآن . قال تعالى
{ اللّٰهُ زَرَّكَ آلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مَّتَشَّابِهًا } . .

و { أَسَفًا } قال مجاهد : جزعاً . وقال قتادة : غضباً وعنه أيضاً حزناً . وقال
السدي : ندماً وتحسراً . وقال الزجاج : الأسف المبالغة في الحزن والغضب . وقال منذر بن
سعيد : الأسف هنا الحزن لأنه على من لا يملك ولا هو تحت يد الآسف ، ولو كان الأسف من مقتدر
على من هو في قبضته وملكه كان غضباً كقوله تعالى { فَلَا مَسَآءَافُؤَنَا أَنْتَقِمْنَا
مِنْهُمْ } أي أغضبونا . قال ابن عطية : وإذا تأملت هذا في كلام العرب اطرء انتهى .

وانتصاب { أَسْفَاً } على أنه مفعول من أجله أو على أنه مصدر في موضع الحال ، وارتباط قوله { إِنْزَالًا جَعَلْنَا } الآية بما قبلها هو على سبيل التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم) لأنه تعالى أخبر أنه خلق ما على الأرض من الزينة للإبتلاء والاختبار أي الناس { أَحْسَنُ عَمَلًا } فليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل ، بل لا بد أن يكون فيهم من هو أحسن عملاً ومن هو أسوأ عملاً ، فلا تغتم وتحزن على من فضلت عليه بأنه يكون أسوأ عملاً ومع كونهم يكفرون بي لا أقطع عنهم مواد هذه النعم التي خلقتها . .

و { جَعَلْنَا } هنا بمعنى خلقنا ، والظاهر أن ما يراد بها غير العامل وأنه يراد به العموم فيما لا يعقل . و { زَيْنَةً } كل شيء بحسبه . وقيل : لا يدخل في ذلك ما كان فيه إيذاء من حيوان وحجر ونبات لأنه لا زينة فيه ، ومن قال بالعموم قال فيه { زَيْنَةً } من جهة خلقه وصنعه وإحكامه . وقيل : المراد بما هنا خصوص ما لا يعقل . فقيل : الأشجار والأنهار . وقيل : النبات لما فيه من الاختلاف والأزهار . وقيل : الحيوان المختلف الأشكال والمنافع والأفعال . وقيل : الذهب والفضة والنحاس والرصاص والياقوت والزبرجد والجوهر والمرجان وما يجري مجرى ذلك من نقائس الأحجار . .

وقال الزمخشري : { مَا عَلَيْنَا الْآرْضُ } يعني ما يصلح أن يكون { زَيْنَةً لَّهَّآ } ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها . وقالت : فرقة أراد النعيم والملابس والثمار والخضرة والمياه . وقيل : { مَا } هنا لمن يعقل ، فعن مجاهد هو الرجال وقاله ابن جبير عن ابن عباس وروى عكرمة أن الزينة الخلفاء والعلماء والأمراء . وانتصب { زَيْنَةً } على الحال أو على المفعول من أجله إن كان { جَعَلْنَا } بمعنى خلقنا ، وأوجدنا ، وإن كانت بمعنى صيرنا فانتصب على أنه مفعول ثان . .

واللام من { لِنَدِيدِهِمْ } تتعلق بجعلنا ، والابتلاء الاختبار وهو متأول بالنسبة

إلى الله